الموقف الذى نحتاج اليه لكى نكون واضحين وليس مجرد محصلة نتطار

مسئولية استراتيجية الرباط ستسجل وقوف مصر وحدها بالمعركة

هل اصيبت المسئولية العربيـــة بحـــالة من الاسترخاء السلبى ؟

او هى كمـــا يقـــول البعض فى حـــالة من الترقب والانتظار ؟

ســـواء أكان واقـــع الساحة العربية استرخاء سلبيا ، او انتظارا لمـــا قد يحدث ، فان محصلة ذلك نتيجة واحدة : وهى أن الســـاحة العربيـــة أصبح وضعها اشـــبه ما يكون بوضع من ابتعد عن المعركة المصيرية .. اكتفاء بمشاهدة حلبـــة الصراع ، دون تشـــجيع للبطل ، وكأنها ليســـت طرفا فى ذلك الصراع ، او انها بلغة المحكمين تقف موقف المحايدين .

وهناك ملاحظة اخرى تقفز الان بشكل بارز على سطح الساحة العربية . وهى أن مختلف الـــدول العربية المؤثرة ، تتصرف الان لتطوير شئونهـــا الداخلية ، وتنمية قواها البشرية ، وتوفـــير كل احتياجات مجتمعها . . وهذا أمر حسن ومطلوب

لكن صورة الوطن العربى الان ، تفرض علينا بـــكل امانة ان نكون واضحين . فهـــل عندنـــا القـــدرة والشـــــجاعة على تحديد المواقف فى امورنا المصيرية ؟

وهل يكون تحـــديد المواقف بسلوك ايجابى لا كلامى ، يـــدوس فى طريقه كل التناقضـــات ولايخشى من قريب أو من بعيد ارهاب الشعارات؟

فى مؤتمر الرافضين المنقسمين كان هنـــاك تهديد سافر للحكومـــات العربية التى تتخذ مواقف غير مواقف الرافضين .. فهل هذا الواقع يتحقـــق الان ، ولو فى صـــورة اتخاذ مواقف مائعة ، كما يبدو من بعض الحكومات

لننظر الان الى طبيعة الاحداث المتلاحقـــة فى المعركة السياسية . . لنستطيـــع من واقـــع تطورات هذه الاحـــداث

ان نقدم بعملية تقنين لكل ما قد جرى ، لنصل الى سلامة الاحكام

اولا :

لقد حدثت مبادرة السلام في ٢٠ نوفمبر الماضى ، وكانت مدينه القدس نقطه الالتقاء لكل الانفعالات العالمية ، بكل فيها من مستويات قياديه وشعبية ، وبكل ما فيها من زعامات روحية ودينية وسياسية .. وكان طبيعيا أن تقع هذه الهزة العالمية . بحكم ضخامة المفاجاة التى لم نستطع أن نلتقط معها الانفاس .. وكان البعض لايدرى هل هو فى يقظة أو فى منام .

الى غير ذلك من ردود الفعل العالمية ، بحيث لم يكن هناك قلم لم تشده المفاجاة فتناولها ولايزال يتعقب آثارها وابعادها .. ولا تزال القصة متتابعة الفصول ، لانها قصة العمر ، يعيشها هذا الجيل .

وكان طبيعيا ايضا أن يلتمس العذر لكل من اربكته المفاجاة ، فتخبط فى الراى او عجز عن الاستيعاب .. كان لهؤلاء العذر فيما صدر عنهم من مواقف وتعليقات ، الى ان كانت مهزلة الرافضين او بعبارة ادق ماساة المنفسمين ، ثم جاء لقاء الاسماعيلية التاريخى بين السادات وبيجين وظهرت حقائق الاشياء .

لقد كان مؤتمر الاسماعيلية اكبر امتحان للقدرة على الالتزام ، كما انه كان اخطر التحديات للارادة المصرية الوطنية ، وكانت عناصر الاغراء فيه قوية ومتوافرة ، ولكن الارادة المصرية ، كانت قمة فى الالتزام ، فلم تتزحزح عن منطلقها القومى فى الممارسة ، واعطت للاستراتيجية العربية الشاملة عناصر قوة حقيقية ، وسلكت مسلوك الشرفاء .

مصر تقف وحدها ولم يؤثر فيها غدر الطعان

وهنا نتساءل ..

متى يأتى دور المسئولية العربية ، بعد أن وقفت القيادة المصرية تحرس بصلابة استراتيجية قمة الرباط ، وتدافع من المبادىء والالتزام ؟

فى مبادرة السلام الى القدس . قلنا هناك رافضون من الاقليات ، وهناك مؤيدون اكثر من الرافضين ، والاكثرية التى لم تعارض ، تعتبر موافقة ، ولكنها تفضل الوقوف فى محطة الانتظار .

وفى لقاء الاسماعيلية التاريخى : ماذا نقول ؟

لقد تجسدت الحقائق ، ولم يعد هناك مجال للتشكيك ، خاضت مصر ادق مرحلة فى المعركة السياسية ، وقفت وحدها ، ولم تؤثر فيها طعنات المتآمرين الذين يعتبرون للاسف من الاشقاء ، حاولوا اضعافها أمام خصم عنيد ، وكان هدف انظمة الحكم فى سوريا وليبيا ولدى المتاجرين بحركة النضال ، ان يزيدوا من حملات الضغط على القيادة المصرية ، حتى تضطر الى الانفراق مع اسرائيل ، وتتخلى عن مسئوليتها القومية فى الوصول بالمعركة السياسية الى التسوية العادلة الشاملة .. كان هذا هو هدفهم ، وهدف الحملات التى تشنها موسكو بطريقة قذرة مجردة من كل القيم الاخلاقية .. وثبتت مصر فى المعركة بكل قوة واصرار ، واعترفت لها كل اجهزة العالم السياسية بالصلابة فى الحق العربى ، مهما كانت المغريات .

متى تغادرون محطة الانتظار

واذن ..

بعد هذا الوضوح فى الموقف المصرى ، وريادته فى الاستراتيجية العربية . لماذا لم تتحدد مواقف الحكومات العربية الاخرى ؟

لماذا لم تعلن تاييدها للموقف المصرى ؟ لماذا لم تدعمه ؟ هل ستظل على موقف عدم المعارضة فقط ؟ انه يكون موقفا سلبيا يضر بالقضية العربية ..

هناك من يقول بصوت منخفض ، نحسن نؤيد مصر ، لاننا نؤيد جهود

السلام ، ولكن لاتطلبوا منا اعلان هذا التأييد ، ليظل الباب مفتوحا لندخل منه من أجل الوفاق بين الاشقاء .. منطق معقول . ولكنه فى تضيتنا هذه لايمكن الا أن يكون عنصر قوة للخصم فى معركتنا السياسية ، عامل اضعاف للجانب العربى فى هذا الصراع .

وهناك للاسف بعض من المسئولين ، لا يزال واقفا فى محطة الانتظار ، ويقول : انه اذا نجح السادات فى مهمته فسوف نؤيده ، واذا لم ينجح فاننا سنقوم بدورنا فى الوفاق الغربى . شىء مؤلم هذا القول . وكأن مهمة السادات فى المعركة السياسية مهمة خاصة ، وكأنها الخصم الذى يواجهه هو خصم لمصر وحدها ، وكأن الازمة التى احدثها السادات فى مؤتمر الاسماعيلية ، واصراره على ملا من العالم ، وامام العين من رجال الصحافة العالمية بانه يرفض الحلول الانفرادية ، ويتمسك بالحلول الشاملة للقضية كلها — هذه الازمة التى لايزال دويها يهز كل القوى السياسية فى العالم ، لاصلة للعرب بها .

يا سادة : ان هذه المواقف المائعة فى صراع مصيرى ، قد شجعت الرئيس الامريكى على التراجع فيرايه ، والتناقض فى تصريحاته ، وهى التى شجعت مناحم بيجين ، على ان يعلن مشروع السلام الاسرائيلى محرفا .

وليس مقبولا القول بأن السادات هو الذى تحمل مبادرة السلام فى المعركة السياسية وعليه أن يتحمل وحده نتائجها .

فأى فرق بين جهود السلام فى جنيف .. وبين جهود السلام فى القدس او القاهرة . احتمال النجاح واحتمال الفشل ، وارد فى الحالين ، فلا تستمعوا الى الذين يحرفون الكلام عن مواضعه ، وحذار من ان تقعوا فى شراك الاستدراج لينفرد بكم المبتزون وتجار النضال ، وتجار الانظمة السياسية التى تستمد استمراريتها ، من البلبلة وعدم الاستقرار فى وطننا الكبير .

ولقد طرحت سؤالا على السيد حسنى مبارك نائب الرئيس : كيف تفسر استمرار الرفض حتى للحلول التى سبق أن رفع شعار الدفاع عنها الرافضون ؟

قال : انه شىء طبيعى أن ترفض اذا وجدت أن التسوية الشاملة ستكون حقيقة واقعة . لان ذلك معناه سقوط انظمتها السياسية بعد ايام ، لان هذه الانظمة لاتقدر على البقاء عندما يتحقق السلام ، وانما تعيش على حساب المحن التى تنزل بالامة العربية .

وكشف نائب الرئيس بطريقته المهذبة .. كيف تدار الامور مع السوفييت ، فاشار الى أن ضابطا سوريا كبيرا روى له قصة لقاء وزير الدفاع السوفيتى الراحل المارشال اندريه جريشكو وبين برئيس اركان الحرب السورى عام ١٩٧١ وعلى مائدة شراب لاح للقائد السورى أن يسأل الوزير السوفيتى :

متى تزودوننا بالاسلحة التى تمكننا من حسم صراعنا مع اسرائيل ؟ وجاء الرد من الوزير السوفيتى فى هدوء .. والى من نبيع السلاح اذا انتهى الصراع ؟

قضية الساعة والتلاعب بالمصير

القضية الثانية ، بعد قضية المواقف العربية ، هى المسألة الفلسطينية ، ومستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهذه المسألة وقفت القيادة المصرية امامها كالجدار الصلب لمنع تذويبها او تفتيتها ، وعلى الرغم من أن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية « ياسر عرفات » قد القى بآخر ورقة كان يلعب بها وهى «الاعتدال» ووقف فى صف حرامى التبعية من

الحركيين ، عندما اعلن في مؤتمر المنقسمين أنه لاسلام ولا مفاوضة ولا اعتراف ، فان القيادة المصرية ، لم تقابل من وقعوا العقاب على أنفسهم وعلى الشعب الفلسطيني ، بمثل مافعلوا ، ولكنها وقفت مساندة ورفضت في وضوح المساومة على حرية التراب ، اى جزء من التراب في الاراضي المحتلة سواء اكانت مصرية أو فلسطينية .

ما هي احتمالات الحلول التي تقوم على الواقعية في التنفيذ ؟

هناك من يطرحون عدة بدائل لتسوية مشكلة الاراضي الفلسطينية في الضفة الغربية ، ولكنهم للاسف لايجرؤن على المجاهرة علنا بهذه الحلول .

اولا : استلام الارض :

عندما نبدأ بتنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وهو القرار الدولي الذي يقابله القرار العربي بتحرير الاراضي العربية المحتلة في عدوان يونيه ١٩٦٧ .

كيف يجري التصرف في هذه الاراضي اذا توصلت المعركة السياسية الى تحريرها ؟

هل نعود الى ما كانت عليه تنفيذا لمنطوق القرار الدولي ، فنعود الى الاردن ، ونظل امانة عندها طبقا للبروتوكول الملحق بميثاق الجامعة العربية ، وبعد ذلك ينفق العرب على طريقة تقرير المصير تحت الاشراف المشترك بين الامم المتحدة والجامعة العربية .

هناك من يقول بذلك :

ولكن هناك من يرى ان ذلك الوضع قد جبه قرار قمة الرباط ، بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، واذن فهي صاحبة الحق في عودة الاراضي المحررة لاقامة السلطة الوطنية المستقلة عليها ، بعد انتهاء فترة الانتقال التي يتم فيها التسليم .

لكن هناك من يرد على ذلك ، **بأن منظمة التحرير قد تحللت من ذلك القرار** ، الذي جاء ضمن قرارات اسس العمل العربي المشترك في قمة الرباط ، وذلك عندما **وقفت رئيسها مع الرافضين الحركيين في مؤتمر المنقسمين بليبيا ، واعلن انه لا سلام ولا مفاوضة ولا اعتراف ، وانهم يلتزمون بتحرير فلسطين كلها ..** في حين ان رئيس المنظمة — وكان معه قيادات فلسطينية اخرى — قد وقع على قرارات قمة الرباط وفيها قرار تحرير الاراضي العربية المحتلة في عدوان عام ١٩٦٧ .

وتحضرني في هذا المقام واقعة حدثت في المداولات السرية لقادة قمة الرباط ، عندما طرح موضوع استعادة الاراضي المحتلة بالضفة الغربية ، ومن الذي يتسلمها من الاسرائيليين ، **وكان رد ياسر عرفات : ليست هذه مشكلة . اننا نوافق على ان يقوم بتسلمها الفريق اول محمد عبد الغني الجمسي كقائد للقيادة العربية الموحدة ، او تسلمها الجامعة العربية نيابة عن الفلسطينيين.**

ثانيا : اهداف المنتفعين :

هل الهدف الاستراتيجي لقوى الرفض المنقسمة على نفسها : هو ابقاء اراضي الضفة الغربية في قبضة اسرائيل ، الى ان تحل مشكلة الخلاف بين هؤلاء الرافضين ؟ **ان سوريا لايهمها كما تقرر ذلك اغلبية الاراء ، لان مابقي لها في الجولان هو حوالي الف كيلو متر مربع ، وهي تبتز في مقابله سنويا أكثر من بليون دولار ، واذن فالصفقة صفقة رابحة ،** وليبيا يهما أن تظل القضية **معلقة ومعقدة تمارس فيها عقدة الزعامة التي تحكم كل تصرفاتها** ، حتى فيما يتعلق بمصير امة بأكملها . **والجزائر** يهمها ان تنتخذ من القضية القومية **عنصر ضغط من اجل تحقيق مكاسب في الصحراء ، لتكون** منطقة نفوذ لها ، توصلها الى ربط

الجزائر بالمحيط الاطلسى ، ويكون لها وجود على شاطئه .

واذن :

هل تبقى الارض العربية رهنا لطموح الرافضين فى الثروة او الزعامة او الانتماء والاستقطاب ؟

هل يظل الشعب الفلسطينى على ماهو عليه بدون هوية. الان قادته يرفضون الجلوس على مائدة المفاوضات ؟

هل يتصور هؤلاء الذين لم يستفيدوا من تجارب الماضى ان قادة تل أبيب .

سيعيدون الحق الى اهله الشرعيين بدون حوار ؟

ان الذين يهربون من خوض المعركة السياسية جبناء ، لانهم يفتقرون الى الشجاعة فى مجابهة الاخطار ، او انهم من العجز بحيث لاتتوافر فيهم مقومات انحام الخصم واجباره على الاعتراف. دون شك قد قطعنا مرحلة ، اجبرنا فيها الخصم على الاعتراف بالشعب الفلسطينى ، بعد ان كان يقول انه غير موجود ، وأكد اعترافه هذا بطرحه نظام الحكم الذاتى ، واذا كان قد وقف عند ذلك ، ورفض حق تقرير المصير ، فان جولة أخرى ستجبره على التسليم بذلك الحق .. والمهم فى كل ذلك ان تعود الاراضى العربية ، تحت اى مظلة كانت ، تحت اشراف الامم المتحدة ، او تحت اشرافها المشترك مع الجامعة العربية ، ومن خلال فترة الانتقال والتسليم والتسلم تكون الامور قد اخذت مسارها الطبيعى ، البعيد عن معارك الشعارات الفاشلة .. لكنه فى جميع الاحوال ، لابد أن تحدد المواقف العربية فى وضوح .. فالمعركة السياسية تتطلب الدعم والتأييد ، أكثر بكثير مما تتطلبه معارك القتال ، واذا كان هؤلاء المتشدقون باستمرار الابتزاز العربى ، من منطلق الابقاء على حالة اللاسلم واللاحرب ، يتصورون انهم سيجهضون كل جهد لاستعادة الارض واقرار السلام .. فان العرب الصامتين فى محطات الانتظار مسئولون عن هذا اللهو والعبث بمصائر الشعوب فى الوطن العربى الكبير .

زكريا نيل

محمد حسنى مبارك

ياسر عرفات

اندريه جريشكو

محمد عبد الغنى الجمسى